



صفقة خاسرة !

13 رمضان أجر وإحسان

خطبة جمعة

2025-10-17

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

ملاحظة: النص تفرغ آلي سيتم إضافة النص بعد التنسيق قريبا

يا ربنا، لك الحمد ملء السماوات والأرض، وما بينهما إلا، الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفرغ كل ملهوف، فكيف نتفكر في غناك؟ وكيف نضل في هداك، وكيف نذل في عرك، وكيف نضام في سلطائك، وكيف نخشى عيرك والامر كله اليك، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ارسلته رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربيات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج وجد سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا، وبعد، ايها الاخوة الكرام، خلق الله الانسان وجعله على حب الريح وبغض الخسارة، يحب الريح وبغض الخسارة من أي نوع كانت، التاجر يدخل صفقة بمائة، فان خرج بمائة وعشرين، سعد بربحه وفرح به، وان ساقم ما غير، فان احرز فيها مكانا متقدما، كان يقال فلان الاول، في المسابقة، فرحا، وريح، ربحه، هكذا جبل الله.

الانسان شخص رشح نفسه للانتخابات، ما ان صدرت النتائج وصدر اسمه في قائمة الناجحين حتى طار فرحا، في المقابل يسوء الانسان ان يخسر تسوء خسارته، سواء خسر ماله او خسر شيئا من صحته، او خسر منصب، والطاولة التي كان يجلس وراءها فيامر وينهي، هذه جلة جبل عليها الانسان بحب الريح وبغض الخسارة، علما ان مقاييس الريح والخسارة ربما تختلف بين شخص وآخر بحسب عقيدته وامانه وتربيته، بمعنى انه المؤمن الحق، المؤمن الحق، صاحب العقيدة الحقيقية المطلقة من كتاب الله تعالى وستة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يترتم مثلا ان ربح في الانتخابات، لا بطير فرحا، لا يخرج عن طوره، ربما يفرح جزئيا لان الله سيسخر له خدمة الناس، ربما، وهذه بحسب نيته، لكنه بالعموم لا يفرح، بل يراها مسؤولية عظيمة القيت على عاتقه وحملها وسبحاسب عليها بين يدي ربه، كلمة مسؤول بالنسبة للمؤمن وفق عقيدته ليست ككلمة مسؤول لغير المؤمن، المؤمن سيعلم كلمة مسؤول فيندكر قوله تعالى وقفوههم انهم مسؤولون، يعني ساسأل انا مسؤول كبير، اذن ستسأل يوم القيامة عن كل شيء، كلما عظمت مسؤوليتك عظم السؤال بين يدي خالقك، فهو لا ينظر الى المنصب على انه ربا ينظر اليه على انه مسؤولية عظيمة.

فيهم ان خرج اسمه بين الناجحين في الانتخابات مثلا، ايضا المؤمن لا يرى اي خسارة عندما ينفيق ماله بل يرى ذلك ربحا يراه غيره خسارة، يقول صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة، المال لا ينقص عندما تتصدق، طيب كم تصدقت بعشرين، اصبح ثمانين، لا ينقص، بالمطلق الايمانى لا ينقص، لان هذه العشرين اصبحت عند الله ثنتين، فهل نقص المال، لم ينقص فقمايس الريح والخسارة تختلف، النبي صلى الله عليه وسلم كان يوزع شاة، قالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله لم يبق إلا كنفاه وزعتها كلها، لم يبق لنا شيء، قال يا عائشة بقيت كلها إلا كنفتها، لان المؤمن يدرك ان ما ينفقه لا يخسره وان ما يدخر له اجرا عظيما عند خالقه، الأكثر من ذلك غاية الجود ان بجود الانسان بنفسه في سبيل الله، حرام من ملحان وهو خال سيدنا انس بن مالك رضي الله عنه، خرج داعية الى الله تعالى ومجاهدا في سبيله، يعلم الناس كتاب الله تعالى وستة رسوله صلى الله عليه وسلم، في الطريق خرج اليه رجل مجرم قطعنه طعنه حتى انفذه طعنه بالرمح حتى نفذ الرمح من الجانب الاخر.

طعنة فائلة، قال حرام بن ملحان بأعلى صوته فزت ورب الكعبة، ابن الفوز؟ لقد قُتلت، لقد خسرت حياتك، قال فزت ورب الكعبة لان الجود بالنفس في سبيل الله تعالى ربح وليس خسارة، من قضى من اهلنا في غزه صابرا محتسبا راضيا بقضاء الله تعالى مرابطا في ارضه، فاز ورب الكعبة على الشاشة رأياه قد قتل ورأينا أهله يبكونه، في الحقيقة لم يخسر روحه لانه قدمها في سبيل الله تعالى فهي أعلى روحه، تقدم فقمايس الريح والخسارة تختلف بحسب العقيدة بحسب المنطلقات التي تحملها انت في داخلك، فما تراه خسارة قد يراه غيرك ربحا، وما تراه ربحا قد يراه غيرك خسارة، على كل ايها الاخوة الكرام القرآن الكريم يحدث الناس بمطلق الريح والخسارة بحدتهم بمطلقهم، كثيرا ما يحدثنا القرآن بمنطقنا، عن الريح والخسارة ليدعونا إلى العمل والجاهد والبدل، يحدثنا بما نريده وهو الريح، ويكرهنا بما لا نريده، وهو الخسارة، وهذا من رحمة الله بنا، من الصفقات الراجعة الراجعة التي تحدث عنها القرآن، قال تعالى، ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم، بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران.

ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم، أعظم ربح صفقة عظيمة من الله تعالى خالقنا بعرض علينا تجارة رابحة وصفقة لا يمكن ان تخسر الان اي تاجر، قل له امامي صفقة الريح فيها مئة بالمنة، يقول لك هيا فورا وهو يثق بك لانك لا تعشه الريح مئة بالمنة، لا توجد صفقات في التجارة نادرة ان يؤكد الريح قبل الدخول في الصفقة، الله تعالى ومن اصدق من الله حديثا يعرض على عباده صفقة رابحة لا يمكن ان تخسر، السلعة هي نفسك ونفس السلعة هي نفوسنا تقدمها والتمن هو الجنة، بان لهم الجنة، فمن ذا الذي يبيع نفسه وماله لله، يقول انا لله بكل ما املك والتمن حنة عرضها السماوات والارض، في حديث اخر تنطق الصفقة، تصبح السلعة ثمنا والتمن سلعة، فالسلعة هي الجنة والله يبيعها وانتم المشتري، والتمن هو طاعة الله تعالى، يقول صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج من خاف العدو مشى في الدلجة، والدرجة أول ظلام الليل يخرج من بداية الليل ليدرك الفجر وقد وصل إلى مأمنه، هناك أعداء يطاردهونهم، ومن خاف ادلج، ومن ادلج بلغ المنزل، إلا أن سلعة الله غالية.

آلا إن سلعة الله الجنة، الله يبيعك جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وانت تستخسر درهما في سبيلها، وانت تستخسر ريكعات في جوف الليل من اجلها، وانت تستخسر غص البصر من اجلها، وانت تستخسر صلاة الفريضة من اجلها، يبيعك جنة السلعة غالية جدا والتمن بسيط جدا، هب ان انسانا قال لك هذه السيارة من احدث طراز وستة المصنع هي 2025 والتمن ليرة، ماذا تقول؟ الله يبيعتا حنة بتمن بخس، عمر محدود تطيع الله فيه، تقدم فيه ما تستطيع لربك، لا عراز دينك، والجنة تنتظر لك، الا ان سلعة الله غالية، الا ان سلعة الله الجنة، صفقة رابحة أخرى، قال تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، انظروا الى الخطاب الفرنسي العظيم، يا ايها الذين امنوا، من الذين امنوا، انت وانا، اليس بيننا وبين الله عقد إيماني، ألم نقل، رضينا بالله ربا وبالإسلام دين، نحن الذين امنوا الخطاب لك، اسمع، اذا سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا فاعرض سمعك فإنه خير يومر به أو شر ينهى عنه.

انتبه ما بعده، يا ايها الذين امنوا، هناك شيء مهم، قال هل ادلكم على تجارة، تنجيكم من عذاب أليم، نعم يا رب دلنا، قال تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعملون يغير لكم دينكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، انظروا الى الثمن العظيم، مغفرة ذنوب وجنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين، صفقة رابحة، ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقاهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تور، تجارة لا يمكن ان تخسر ابدا، في المقابل هناك صفقات خاسرة سيندم عليها المرء اشد الندم يوم القيامة، وهناك خسائر كبيرة، ليست خسائر الدنيا مهما عظمت امامها بشيء، قال تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم وأهلهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين، هذا هو الخسران وما سواه ليس بخسران، تقول لي ان يصادر اسمي مع الناجحين في مجلس الشعب، خسرت، تقول لي لم اربح كما ينبغي، عاد راس المال ناقصا، خسرت، تقول لي عندي مشكلة في الجسم، خسرت، اي خسارة تلك الا ذلك هو الخسران المبين ان يأتي المرء يوم القيامة وقد خسر نفسه، كانت لجنة عرضها السماوات والارض فأوردها النار الى ابد الابدين وخسر اهله لانهم ان كانوا في الجنة فلن يكونوا معه فقد خسروهم، وان كانوا في النار معه فقد أوردهم الهلاك كما أورد نفسه الهلاك فهو خاسر على الخالين.

قل إن الخاسرين، الذين خسروا انفسهم وأهلهم يوم القيامة الا اداة الاستفتاح للتوكيد، ذلك هو للتوكيد الخسران بأل التعريف الا ذلك هو الخسران المبين، يعني غيره ليس خسرانا، لا تقل لي خسرت في الدنيا، قل قدر الله وما شاء فعل الخسارة هناك، ايها الاخوة الكرام، من اعظم الصفقات خسارة، وانظروا فيما اقول، من اعظم الصفقات، خسارة، ان يتاجر الانسان بدين الله تعالى، اعظم صفقة خاسرة في التاريخ، ان يتاجر الانسان بالدين، وان يجعل منه مطية لتحقيق هواه ومصالحه الموهومة، قال تعالى، اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون، ان الذين يكتنمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يبدلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم، واذ اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ليتبينه الناس ولا تكنونه فبينوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون، ايات الله، دين الله منهج الحق لا يعتاض عنه بمال الدنيا، مهما كثر اي ثمن، مهما عظم فهو الى جوار منهج ربنا، ثمن خفير ثمنا قليلا، ايات الله غالية تبذل دونها المهج والارواح.

دين الله يحيا الانسان من اجله، يقدم حياته ليحيا في ظلال منهج الله تعالى وايات الله، فاذا بعض الناس يستخدم الدين لمصالحه المتوهمة، وأقول المتوهمة لانه لا مصلحة حقيقية الا في اتباع منهج الله حقا يستخدم الدين العظيم العالي الشأن الرفيع في علياته يستخدمه لمصلحة ضيقة، ويجعل من هذا الدين العظيم والمنهج القويم والايات الباهرة مطية بمصلحتها الى الوصول الى مأربه، ويتاجر بها من اجل عرض الدنيا الزائل، كم هو خاسر اي خسارة اعظم من تلك الخسارة، رجل يجلس في مكتبه امامه اتصال نقدي، قل شيك بمبلغ مليون دولار مثلا، ولا يمكن ان اتلف هذا الاصل، ان يستبدل مرة واحدة والشك مقلوب على وجهه، الثاني، جاءه رجل قال له اني اذهب الى ساحة الحجاز، الشك مقلوب امامه، لم ينتبه انه الشك، امسك قلما ورسم له الخريطة على ظهره ودله، وذهب الرجل بعد ان ذهب الرجل، اراد ان يرتب مكتبه فوجد ورقة مرسوما عليها الطريق الذي دله عليه فمزقها والقها في القمامة، ثم اكتشف انه اتلف الورقة النقدية بمليون دولار ولا بديل عنها، كيف يكون شعوره بالخسارة بدل ان يستخدمها ليشترى بها اشياء وأشياء استخدمها باسبسط استخدام جعلها ورقة بنسخبط عليها كما يقال.

هذا ما يحصل بالانسان الذي يستخدم دين الله ولو كان شيخا ذا عمامة، عندما يستخدم الدين لمصالحه الشخصية، أسوأ استخدام، ان تأتي الى دين الله وتستخدمه لمصالح شخصية، ستتفاجأون عندما تسمعون ان الامام الشافعي رحمه الله كان يقول، لأن أرترق بالرقيس اھون من أن أرترق بالدين، ستقول لماذا بالرقيس، نعم بالرقيس برقيس، سيعطيه الناس مالا اھون، طبعاً اھون من أن يرتزق بدين الله تعالى ويخرفه او يغني بخلاف ما يعلم من اجل السلطان او من اجل الدنيا، لأن أرترق بالرقيس اھون من أن أرترق بالدين، المال اربح اكبر عى مخلص لكن برقيس رديء، عذاب اذا كان تحت يدك بخلص لك، لكن اذا جعلته سيدي فھو أرء، سيد يأمرك بالشر وينهاك عن الخير، فاجعل المال عبدا لك لا تجعله سيدا عليك، ايها الاخوة الكرام، يقول صلى الله عليه وسلم، بشر هذه الامة بالتيسير والثناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب، أخرج ابن عساکر في تفسير قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها، وهذا التفسير للاستئناس ليس تفسيرا واحدا، هناك تفسيرات كثيرة لهذه الآية، قال ابن عساکر في تفسيره.

ثم علم ادم الاسماء كلها، قال عليه اسامي الف او الف حرفة، علمه اسماء الف حرفة من الحرف، ثم قال يا ادم قل لي ولدك، ونحن اولاد ادم، ان لم تصبروا عن الدنيا، تريد الدنيا وهذا حقا، تريد ان تشتري وتعيش، ان لم تصبر عن الدنيا فقلطوها بهذه الحرف ولا تطلوها بالدين، دغ الدين في علياته، لا تطلب الحرف، لا تطلب المال بالدين، يقول ابن عباس رضي الله عنهما، علماء هذه الامة رجلا، رجل اتاه الله علما فبدل له للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا، فذلك تستغفر له حيتان البحر والدواب، في البر، والطير، في جو السماء، ويقدم على الله، سيدها شريفا، حتى يرافق المرسلين، ورجل اتاه الله علما، فدخل به عن عباد الله، واخذ عليه طمعا، واشترى به ثمنا، فذاك يلجم بلجام من نار يوم القيامة، من مظاهر استغلال الدين، من مظاهر استغلال الدين، الاستغلال السياسي، الدين ليس مطية، الدين لا يفصل عن السياسة، ولكن السياسة تبع للدين، فالدين يوظف السياسة لخدمة المجتمع، لكن الدين لا يتخذ مطية سياسية ابدا، قال تعالى في سورة التوبة،

وهي السورة الفاضحة الكاشفة، قال يا ايها الذين امنوا، يخاطبنا، لا يروي لنا قصة عن الماضين بخاطبنا، يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وكأنه يقول لنا ياايكم يا امة محمد ان تكونوا الاحبار والرهبان تصدون عن سبيل الله وتأكلون اموال الناس بالباطل، ايها الاخوة الكرام، من مظاهر استغلال الدين الاستغلال الاقتصادي ان يتخذ الدين مطية لتحصيل المال والسمعة والمكانة، ومن مظاهر استغلال الدين ما نسميه بالكهنوت، نحن ليس في ديننا رجال دين، هذا تسرب اليها من عقائد اخرى من ثقافات اخرى، نحن ليس عندنا رجل دين، كلنا رجال هذا الدين من صغيرنا إلى كبيرنا كلنا نحمل هم الدين، ان يجعل رجل لنفسه كهنوتا خاصا ومكانة خاصة بحكم هيأته وعمايته، ثم يمالئ الأقواء ويتزلف للأغنياء ويجلس على كرسيه ليروي الخرافات والمكررات دون أدلة ودون بينات، والجميع يجب ان يهز رأسه لان فلانا يضع عمامة على رأسه فهذا ليس من ديننا في شيء، اما ان تكون عالما حقا فلك احترامك ومكانتك بقدر علمك، او ان تكون قصاصا تحكي للناس بغير منهج الله تعالى، فليس لك أي مكانة، ليس هناك كهنوت في دين الله.

انتبهوا، جاء الشيخ هذا شيخ فلاحي ان كان على المنهج فعلى العين والرأس له احترامه وان كان بخلاف المنهج فيقال له اخطأت، ليس عندنا كهنوت في دين الله تعالى، كلنا رجال لدين الله تعالى، انا وانت ان كنت انا او كنت انت تحمل علما نريد عني فمكك بقدر علمك، وان كنت تعمل اكثر مني ففضلك بزيادة عملك، برفع الله ايمانوا منكم والذين اتوا العلم درجات والعمل الصالح برفعه، لكن ليس لي مزية لأنني ألبس عباءة ولا لانني أضع عمامة مزينة في ما احمله من علم وعمل، انا وانت ان اكرمكم عند الله اتفاكم، اما الكهنوت ان يجلس شخص ما عنده علم شرعي مؤصل، ويمضي الدرس كله في رواية بعض القصص الخيالية والخرافات ويحصن لانه يجلس خلف الكرسي وحواله الناس، فليس لأحد حصانة في دين الله تعالى، اما ان يلتزم المنهج وأما ان يراجع فيه، ايها الاخوة الكرام، بقي ان اقول شيئا، التكسب بالدين لا يعني ابدا ان هناك مدرسا للقران الكريم في مدرسا للولادة للتربية لخدمة عامة او شرعية، يقضي وقته ليعلم اولادنا ان يتقاصص اجره في نهاية الشهر، هذا أولى الناس بان يأخذ اجرا، وأولى الناس بان تعظم له المال والاجر ما دام مستقيما ويعلم العقيدة الصحيحة.

بل نزيده ما نستطيع، لان المعلم عماد المجتمع، هذا لا يتكسب بدين الله، هذا ينطق وقته خدمة لدين الله تعالى فهو أولى الناس بالإكرام حتى لا يفهم ان التكسب بالدين يعني ان شخصا يعلمه القرآن للاولاد في المدرسة او التربية الاسلامية، ابدا هذا ليس تكسبا بالدين، التكسب بالدين ان اخذته ستارا لمأرب الشخصية ولمصالح متوهمة، هذا هو التكسب بالدين المنهي عنه شرعا، والذي يقال عمن فعله اشترى بايات الله ثمنا قليلا، حاسبوا انفسكم قبل ان تجاسبوا وزنوا أعمالكم قبل ان توزن عليكم، واعلموا ان ملك الموت قد تخطأ الى غيرنا واستخبط غيرنا لينا فلنتخذ حذرنا، الكيس من اذ نفسه وعمل ما له بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتضمن على الله الأمانى، الحمد لله رب العالمين واشهد ان لا اله الا الله ولي الصالحين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى ال سيدنا ابراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى ال سيدنا ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات، انك يا مولانا سميع قريب مجيب للدعوات.

اللهم برحمتك عمنّا واكفنا، اللهم شر ما أهنا وعمنّا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا نلفاك وانت راض عنا، لا اله الا انت سبحانك ان كنا من الظالمين وانت ارحم الراحمين، وارزقنا اللهم حسن الخاتمة، واجعل اسعد أيامنا يوم نلفاك وانت راض عنا، نحن حسبتا عليك اتكالنا، اللهم ان نسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل، اللهم رنا فارج الله لكشف البسم مجيب دعاء الصائرين ارحم الراحمين والآخرة، ورحمتها انت ترجمتنا، ارحمنا برحمتك يا ذا الجلال والإكرام، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى ال سيدنا ابراهيم، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم اهلنا في غزة اهلنا في فلسطين كل لهم عوناً ومعيناً وانصاراً وحافظاً ومؤيداً واميناً، اللهم أطعم جائعهم واكس عيالهم وارحم مصاهم واوي غريمهم، واجعل لنا في ذلك عملاً متقبلاً وصالحاً فلهم اجرهم من مكر أعدائهم.